الاتجاه السنني في التغيير الحضاري
الإمام بديع الزمان سعيد النورسي نموذجا

إحسان قاسم الصالحي
مركز رسائل النور للدراسات والبحوث بإسطنبول

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وسلك طريقه إلى يوم الدين، وبعد

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا ومن صميم أفئدتنا فنقول:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

فقبل أن نخوض في ثنايا البحث لابد أن نلقي ضوءاً على حياة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي.

ولد بديع الزمان سعيد النورسي في مطلع القرن الهجري الماضي 1293هـ(1876 م) في قرية (نورس) شرقي تركيا، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وجاهد الروس على رأس "فرقة الأنصار" في جبهة القفقاس في الحرب العالمية الأولى. وقاوم عقبها الإنكليز والحلفاء الذين احتلوا مناطق مختلفة من تركيا.. وساهم في حرب الاستقلال التي دامت سنوات لطرد الغزاة من البلاد.. وعاصر المنعطف الخطير الذي بدأ منذ انتهاء الدولة العثمانية 1924م، حيث وُضعت قوانين واتُّخذت قرارات بإلغاء الخلافة وإبعاد الإسلام عن الحياة الاجتماعية وممارسات الدولة.

فمُنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبُدّلت الأرقام والحروف العربية في الكتابة إلى الحروف اللاتينية، وحُرم الأذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية، كما أُعلنت علمانية الدولة، فمُنع القيام بأي نشاط أو فعالية في صالح الإسلام، إذ حُظر طبع الكتب الإسلامية، وأُرغم الناس على تغيير الزي إلى الزي الأوروبي، فالرجال أُرغموا على لبس القبعة والنساء على السفور والتكشف..

وشُكّلت محاكم زرعت الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها، ونُصبت المشانق لعلماء أجلاّء، ولكل من تُحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة.

"وفي ظل الظروف المشحونة بالإرهاب الفكري والقانوني عمل رواد المقاومة الفكرية في المجتمع العثماني على وضع خطة للإصلاح منسجمة مع تصوّرهم لطبيعة الأزمة، وبهذا الصدد ظهرت عدة تصورات:

1- فريق يرى بأن الأزمة سياسية ذات أصل ثقافي معرفي، وتستدعي حلا سياسيا، تبنّى هذا الرأي الشيخ مصطفى صبري(شيخ الإسلام للدولة العثمانية)، ولخّص الحل في أحد مسلكين:

أ) اتحاد حكومات إسلامية معيّنة (الأفغان والحجاز) تطلبان العون من الشعوب للهجوم كالرجل الواحد على الأئمة الجدد في تركيا بغرض استئصال فكرتهم من المجتمع العثماني.

ب) الطريق الثاني يعمل المسلمون بموجبه على تأسيس مؤسسات علمية إسلامية عالمية تتولى تكوين جحافل المتديّنين الصادقين المهيئين لمواجهة هؤلاء الأئمة الجدد في قابل الأيام.

وقد باء هذا المسلك بالفشل الذريع نظرا –رغم ما قدّمه من خدمات جليلة للثقافة الإسلامية في صورتها المعرفية والتنفيذية– لعدم أخذ المعطيات المحلية والجهوية والدولية بالحسبان في صياغة المشروع البديل هذا من جهة، وقصر المسألة على السياسة المتلبّسة بالثقافة في كثير من الأحيان من جهة ثانية.

2– فريق آخر يرى بأن الأزمة ثقافية بالدرجة الأولى، وإن كانت سياسية في بعض وجوهها..

يرى رواد هذا الاتجاه أنّ أهم داء أصاب المسلمين في العصر الحديث التطاول على علمائنا المتقدمين والثورة على المذاهب التي تلقتها الأمة بالقبول منذ أمد بعيد، وقد تبنى هذا المسلك العلامة الشيخ زاهد الكوثري رحمه الله".[1]

أما الأستاذ سعيد النورسي فإنه يصرح بوضوح تام عن مشروعه فيقول:

"إلى هنا كانت حياتي طافحة بخدمة البلاد، وفق ما كنت أحمله من فكرة خدمة الدين عن طريق السياسة. ولكن بعد هذه الفترة ولّيت وجهي كلياً عن الدنيا، وقبرتُ " سعيداً القديم" –حسب اصطلاحي– وأصبحتُ سعيداً جديداً يعيش كلياً للآخرة... صرفتُ كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم... أخذتني الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى (طوال ربع قرن).. وفي هذه الأثناء تولّدت من صميم قلبي معانٍ جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتُها على مَن حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقتُ عليها اسم "رسائل النور". إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على قناعة تامة ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري وإنما هي إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركتُ كل مَن استنسخها، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل... وهكذا تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر...".[2]

توفاه الله سنة 1960 ودفن في مدينة أورفا. ثم فتحت السلطاتُ العسكرية آنذاك قبره وأُخذ جثمانه إلى مكان مجهول، ومازال قبره مجهولاً. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

خريطة البحث باختصار شديد:

بعد أن مهدنا حياة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، والظروف التي أحاطته، ومشاريع العلماء الأفذاذ في عصره الذين قدموها إنقاذاً للأمة مما وقعت فيهمن أزمات شديدة حتى كادت تفقد مقوم حياتيتها وهي الإيمان. نجد الإمام النورسي مشمرا لإنقاذ الإيمان وخدمة القرآن، وذلك بتأليف "رسائل النور" التي تمثل حقائق قرآنية بأسلوب ملائم لأفهام هذا العصر. فالإمام يبدأ بمشروع التغيير من الإنسان، بل من نفس المؤلف أولا، فنراه يفصل بين مرحلتين من حياته، سعيد القديم وسعيد الجديد. ثم نتناول مشروعه الحضاري في مهمة رسائل النور لإبراز دورها في استنهاض الإنسان وتغييره إلى إنسان جديد، وإبراز الدور المهم في تتبعه قوانين شريعة الله الكونية فضلا عن اتباعه أوامر الشريعة المعروفة.

---

[1] انظر: أ. د. عمار جيدل، بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية، المنهج والتطبيق، ط. نسل، إسطنبول 2004.

[2] النورسي، بديع الزمان سعيد، الشعاعات، **الشعاع الرابع عشر**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول 1993.

وهنا يرد السؤال الذي يطرح نفسه وهو: ما موقفه من الحضارة الغربية؟ وهل للقرآن الكريم حضارة متكاملة لإسعاد الإنسان في الدنيا كما تسعده في الآخرة؟

فلنباشر بالتفصيل بإذن الله.

ما رسائل النور؟

إن رسائل النور" كينونة فكرية وروحية متكاملة "فهي ثلاثون ومئة رسالة، وهي تفسير معنوي للقرآن الحكيم، وقد منّ الله تعالى علينا فترجمناها من اللسان التركي إلى العربي في تسعة مجلدات. فهي تعالج القضايا الأساسية في حياة الفرد والمجتمع، هذا النهج القرآني القويم لم يبقه النورسي في دائرة التجريد الفكري، وإنما حوّله عبر رسائل النور إلى صياغة جيل رباني مخلص لربه، ومحارب لأنانيته يعي ظروف عصره ومشكلاته، ويشعر بالواجب الملقى على عاتقه في ترشيد الإصلاح الاجتماعي والثبات على حقائق القرآن العظيم أمام الطغيان، الذي فرض الحياة المادية الغربية عليهم بقوة الحديد والنار.

و"الرسائل" لكونها فكراً إبداعياً حافزياً لم يسبقه تمهيدٌ أو توطئة، فيصدُم الذهنَ بشكل حادّ، ويهزّ أوتار القلب المسترخية، ويَرُجُّ أمواج الروح الساكنة، ويرفع القارئ فجأةً وعلى حين غِرَّة من مشاغل يومه، واهتمامات أَمْسِه وغَدِه، إلى مسائل الأبدية التي تتجاوز أعمار الأكوان وأعمار الأجيال، وهو أمرٌ عظيم لا يقدر على معالجته إلاَّ فكر عظيم، كما لا يقوى على استقباله واستيعابه إلاّ ذهنٌ منفتح، وروحٌ متحفز، ونفسٌ مشتعلة، ووجدان مشرق، وبديهة فطنة، وضمير ذكي".[1]

1– مهمة رسائل النور

يقول الأستاذ النورسي: "إنَّ "رسائل النور" لا تعمّر تخريبات جزئية، ولا ترمّم بيتاً صغيراً مهدّماً وحده، بل تعمّر أيضاً تخريبات عامة كلية، وترمّم قلعة محيطة عظيمة –صخورها كالجبال– تحتضن الإسلام وتحيط به. وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معيّن وحده، بل تسعى أيضاً وبيدها إعجاز القرآن لمداواة القلب العام، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هُيئَت لها وحشدت متراكمة منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجّه نحو الفساد نتيجة تحطّم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع وبخاصة عوام المؤمنين. نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان.

فأمام هذه التخريبات الكلية الرهيبة، والشقوق الواسعة، والجروح الغائرة، ينبغي وجود حجج دامغة وأعتدة مجهّزة بدرجة حق اليقين وبقوة الجبال ورسوخها، ووجود أدوية مجرّبة لها من الخواص ما يفوق ألف ترياق وترياق ولها من المزايا ما يضاهي علاجات لا حدّ لها.

هذه هي مهمة "رسائل النور" النابعة من الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، وفي الوقت الذي تقوم بها في هذا الزمان أتم قيام، فهي تحظى بكونها مدار انكشاف لمراتب غير محدودة للإيمان ومصدر رقي في مدارجه السامية غير المتناهية".[2]

---

[1] أديب إبراهيم الدباغ،المنهج الروحي في إدراك العمق الإيماني في "رسائل النور".

[2] **الشعاع السابع**، ختام الرسالة.

2– سر فاعلية رسائل النور في الإنسان:

ربما يرد بالبال سؤال:

صحيح أن رسائل النور تفسير متميز للقرآن الكريم يلائم مفاهيم هذا العصر، ولكن أليس هناك تفاسير قيّمة أخرى لأئمة أعلام؟ فأين إذن سر فاعلية رسائل النور حتى استطاعت بفضل الله أن تبني في طول البلاد وعرضها مدرسة إيمانية روحية فكرية متكاملة وارفة الظلال مستقيمة المسالك آتت أكلها بإذن الله في كل مكان..؟

فالجواب: إن سر الفاعلية يكمن فيما يستشعر به كلُّ مَن يستمر على قراءة الرسائل، من التغير والتحوّل في قرارة ذاته؛ تحوّلٌ في نفسه، في فكره، بل في كيانه كله، حتى ينعكس على حياته.

وقد مررتُ بهذا التحول بنفسي، كما أفصح لي الكثيرون عما حدث لهم من التحول. وتحريت عن مكمن هذا السر العجيب كثيرا وسألت عنه الكثيرين ومازلت أبحث وأتحرى. وكما لا يخفى ليس سهلا ذكر ما جرى ويجري من حالات التغير الروحي والتحول الفكري والانقلاب النفسي، إذ لها خصوصيتها لكل فرد، ولكن الميزة المشتركة لدى الجميع:

أن في رسائل النور سراً عجيباً كأنها تصوغ الإنسان صياغة جديدة.

نعم، إن كل قارئ لرسائل النور بإمعان يشعر ويحس في كيانه بهذه الصياغة الجديدة بل يكاد يلمسها لمس اليد في نفسه وفي روحه وفي قلبه، حتى إنه يرى بعد مدة من المداومة على القراءة كأنه إنسان جديد؛ عالمُه قد تبدل واتسع، نظرتُه إلى الوجود وإلى الأحداث وإلى كل ما حوله قد تجددت، عالمُه الداخلي قد غمره من الاطمئنان والسكينة والانشراح ما يذكّر بسعادة الآخرة قبل بلوغها. وعندئذ لا يتمالك نفسه من البوح بهذه المشاعر والجدة في كيانه إلى كل قريب وصديق. وهذا أمر واقع لا شك فيه. ولكن ربما يجد فيه من لم يقرأ رسائل النور مبالغة وغلواً ومدحاً وثناءً للرسائل أكثر مما تستحق. إلاّ أن الشاهد على أحقية هذا الكلام ألوف بل مئات الألوف ممن قرأوا ودرسوا رسائل النور، وليس فقط التركية منها بل حتى ترجماتها العربية والإنكليزية وغيرها من الترجمات. علماً أن شاهدَين عدلين كافيان لإثبات صدق قضية من القضايا.

إذن التغير المنشود في المنظور النوريلا يبدأ إلاّ من الإنسان نفسِه، وليس من أي شيء آخر.

والآن نتناول قضية السنن ودورَها في التغيير وبناء الحضارة.

3–نظرة رسائل النور القرآنية إلى السنن الإلهية الكونية

إن لله سبحانه وتعالى سننا ثابتة وقوانين خالدة لا تتحرك بها المادة وحدها، بل تدور بها الأكوان. هذه السنن هي التي تسيّر كذلك المجتمعات البشرية.لذا فاتباع الإنسان لهذه السنن الثابتة يجعله ويجعل مجتمعه مجتمعا مزدهراً أو مندثراً.وبدوره يجعل هذا الاتباع حضارةً ما عالية وأخرى سافلة.

وبديع الزمان سعيد النورسي يطلق على هذه السنن الكونية اسم:"الشريعة"، لها تبعاتها من الجزاء والعقاب في الدنيا كما لها في الآخرة، حيث يقول:

"لله سبحانه وتعالى تجليان –يتجلى بهما على المخلوقات– وهما تجليان شرعيان صادران من صفتين من صفات كماله جل وعلا.

أولهما: الشرع التكويني –أو السنة الكونية– الذي هو المشيئة والتقدير الإلهي الصادر من صفة "الإرادة الإلهية".

والثاني: الشريعة المعروفة الصادرة من صفة "الكلام الرباني".

فكما أن هناك طاعةً وعصياناً تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعةٌ وعصيانٌ تجاه الأوامر التكوينية.

وغالبا ما يرى الأول (مطيعُ الشريعة والعاصي لها) جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني (مطيعُ السنن الكونية والعاصي لها) غالبا ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا".[1]

بمعنى أن الإنسان لأجل بلوغ ما يهدف إليه، عليه أن يأخذ بالأسباب الموصلة إلى ذلك الهدف، ففضلا عن الثواب الحاصل من امتثاله بالأمر الإلهي التكويني يحصل على النتيجة المقصودة. علماً أنه يعتقد يقيناً، بوحدانية الله سبحانه، وبصدور كلِّ شيء من يد قدرته، وبأنه لا شريكَ له في ألوهيته، ولا معينَ له في ربوبيته. فلا تكون الأسباب بهذا "إلاّ ستائرَ أمام تصرف القدرة الإلهية، لأن العزة والعظمة تقتضيان الحجاب، أما الفاعلُ الحقيقي فهو القدرة الصمدانية، لأن التوحيد والجلال يتطلبان هذا، ويقتضيان الاستقلال".[2] فالأسباب لها دورها في هذه الدنيا لأنها دار حكمة.

4– الدنيا دار حكمة

إن الإنسان الذي يتتبع الأسباب التي وضعها الحكيم العليم يُثاب عليه،ولو تركها لحرصه واستعجاله، يُحرم من النتيجة المرجوة ولا يبلغ المقصود.ويضرب النورسي مثالاً نراه يومياً فيقول:

"مثلما يترتب وجودُ الخبز على أعمال تتم في المزرعة، والبيدر، والطاحونة، والفرن، فإن ترتّب الأشياء كذلك يقترن بـ"حكمة التأنّي والتدرج"، ولكن الحريص (المتعجل) بسبب حرصه لا يتأنّى في حركاته ولا يراعي الدرجات والمراتب المعنوية الموجودة في ترتب الأشياء. فإما أنه يقفز ويطفر فيسقط، أو يدع إحدى المراتب ناقصةً فلا يرتقي لغايته المقصودة".[3] وقديما قيل: "من تعجّل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمــانه".

ومن هذا ندرك السر الكامن في نهوض المجتمعات وكبوتها وسيطرة الحضارات وانحسارها، ألا هو في اتباع الإنسان والمجتمعات السنن الكونية الإلهية، ومراعاة الدرجات والمراتب فيها مراعاة تامة. وإلاّ يعاقب الإنسانُ والمجتمع بدوره بخلاف مقصوده، سواء كان جهلا منه بتلك السنن، أو إهمالاً لأهميتها، أو حرصاً واستعجالا ببلوغ المقصد قبل أو انه متناسياً التسلسل في ترتب الأمور.

5– من هو صاحب الحضارة؟

يلاحظ قارئ رسائل النور أن الأستاذ النورسي يستعمل في جميع الرسائل كلمة "المدنية " بدلا من الحضارة، وفي معرض انتقاده لها يقول: المدنية بلا "ميم" أي الدنيّة. إلا أننا في عرضنا هنا سنستعمل الحضارة التي هي الشائعة في الوقت الحاضر.

---

[1] النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، **اللوامع**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول 1992.

[2] **الكلمة الثانية والعشرون، المقام الثاني**.

[3] النورسي، بديع الزمان سعيد، المكتوبات، **المكتوب الثاني والعشرون،المبحث الثالث**.ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول 1992.

يعزو الأستاذ النورسي الحضارة إلى الأمور الآتية فيقول:

"مما لا ينبغي أن ننكر أن في المدنية محاسن كثيرة، إلاّ أنها ليست من صنع هذا العصر، بل هي نتاج العالم وملك الجميع، إذ نشأت:

بتلاحق الأفكار وتلاقحها،

وحث الشرائع السماوية، ولاسيما الشريعة المحمدية،

وحاجة الفطرة البشرية.

فهي بضاعة نشأت من الانقلاب الذي أحدثه الإسلام. لذا لا يتملكها أحد من الناس".[1]

6- أسلوب الاستثناء دون التعميم

إن تدهور الأخلاق الفظيع في الغرب وكثرة المظالم التي عانتها وتعانيها البشرية بأيدي الغربيين مع أسباب كثيرة أخرى، أعطت المسوغ الكافي ليكون هدفاً لهجوم لا هوادة فيه لكثير من الكتّاب والمفكرين.والرسائل بدورها تهاجم الغرب كذلك ولكن ليس كل الغرب، وإنما تستثنى منه الطيب النافع، ثم تشدد الهجوم على القسم الفاسد.

ونرى أن هذا الأسلوب (أسلوب الاستثناء) لا يسرى على الغرب وحده، وإنما هو قاعدة التخاطب مع جميع المعارضين. فالرسائل تستل الطيبين من مجموع الخبثاء، وتستنقذ الفكر الجيد من بين الجماعات والهيئات التي أثير حولها غبار الشبهات، وهكذا نرى عملية التحليل والفرز والاستثناء هي في مقدمة أي كلام حول موضوعات يختلط فيها النافع بالضار، والطيب بالخبيث، مما يجعل القارئ يشعر في هذا الأسلوب، التجرد الكامل والموضوعية الحقة، والأخذ بالحيطة والحذر، والاحتراز من توريط مَنْ هم خارج صفوف المعارضين. فلا يلتبس إذن أمرُ الطيب النافع بالخبيث المضر، ولا يؤخذ البريء بجريرة المتهم أو المجرم. فالهجوم إذن لا ينصب إلاّ على الخبثاء من الغربيين دون الطيبين منهم. ويبدأ غزو حصون الفلسفات المضللة المادية بعد ما تُفصل من ركامها الفلسفة النافعة المؤدية إلى التقدم العلمي والصناعي. ويُستثنى ذوو الدين من جماعة (الاتحاد والترقي مثلاً) من بين الذين يحملون الأفكار المعادية للإسلام، وهكذا..

والخلاصة: إن أسلوب الاستثناء دون التعميم هذا خاصة من خصائص رسائل النور مع جميع مَن له علاقة معها سواءً الأشخاص الرسميين أو العلماء أو الطوائف أو الأحزاب أو الأفكار أو الفئات.

ولنأخذ مما هو موضوع بحثنا: الحضارة الغربية. يقول الأستاذ النورسي في مقدمة تقويمه للحضارة الغربية:

"لئلا يُساء الفهمُ لابُدَّ أنْ نُنبِّهَ: أنَّ أوروبا اثنتان:

إحداهما: هي أوروبا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدَّتْ خدماتٍ لحياة الإنسان الاجتماعية، بما توصلت إليه من صناعاتٍ وعلومٍ تخدم العدل والإنصاف، فلا أخاطب -في هذه المحاورة- هذا القسمَ من أوروبا.

وإنما أخاطب أوربا الثانية تلك التي تعفَّنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمادية الجاسية، وحَسبَتْ سيئاتِ الحضارة حسناتٍ لها، وتوهّمت مساوئها فضائل. فساقت البشرية إلى السفاهة وأَرْدَتها الضلالة والتعاسة...

---

[1] النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، **اللوامع**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول 1992.

فيا أوروبا التي نأتْ عن النصرانية وابتعدت عنها، وانغمست في السفاهة والضلالة! لقد أهديتِ بدهائك الأعور كالدجال لروح البشر حالةً جهنمية، ثم أدركتِ أن هذه الحالة داءٌ عضال لا دواءَ له. إذ يهوى بالإنسان من ذروة أعلى عليين إلى درك أسفل سافلين، وإلى أدنى درجات الحيوان وحضيضها، ولا علاج لك أمام هذا الداء الوبيل إلاّ ملاهيكِ الجذابة التي تدفع إلى إبطال الحسّ وتخدير الشعور مؤقتاً، وكمالياتُكِ المزخرفة وأهواؤك المنوِّمة.."[1].

7–ما مرتكزات الحضارة الغربية بمنظور رسائل النور؟

لقد بسط الأستاذ النورسي الكلام عن الحضارة الغربية وعواقبها المشاهدة. فيقول:

"إنها تأسَّست على خمسة أسسٍ سلبيَّة:

فنقطةُ استنادها هي: القوة، وهذه شأنها: الاعتداء.

وهدفُها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها: التزاحم.

ودستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا شأنه: التنازع.

والرابطة التي تربط المجموعات البشريَّة هي: العنصريَّة، والقوميَّة السلبيَّة التي تنمو على حساب الآخرين. وهذه شأنها: التصادم.

وخدمتها للبشريَّة خدمة فاتنة جذَّابة هي: تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمَّارة، وتطمين رغباتها، وتسهيل مطالبيها. وهذا الهوى شأنه: إسقاط الإنسان من درجة الملائكيَّة إلى درك الحيوانيَّة الكلبيَّة.

وبهذا تكون سببًا لمسخ الإنسان معنويًّا. فمعظم هؤلاء المدنيِّين لو انقلب باطنهم بظاهرهم لوجد الخيال تجاهه صور الذئاب، والدببة، والحيَّات، والقردة، والخنازير.

ولأجل هذا، فقد دفعت المدنية الحاضرة ثمانين بالمائة من البشريَّة إلى أحضان الشقاء، وأخرجت عشرة بالمئة منها إلى سعادة مموَّهة زائفةٍ. وظلَّت العشرة الباقية بين هؤلاء وأولئك، علمًا أنَّ السعادة تكون سعادةً عندما تصبح عامَّة للكلِّ أو للأكثريَّة، بيْدَ أنَّ سعادة هذه المدنيَّة هي لأقل القليل من الناس.."[2].

"والقرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلاّ طرازا من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية، بينما المدنية الحاضرة قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها، فالهوى حر طليق طلاقة البهائم، بل أصبح يستبد، والشهوة تتحكم، حتى جعلتا الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية. وهكذا مُحيت راحة البشرية؛ إذ كان الإنسان في البداوة محتاجا إلى أشياء أربعة، بينما أفقرته المدنية الحاضرة الآن وجعلته في حاجة إلى مائة حاجة وحاجة. حتى لم يعد السعي الحلال كافيا لسد النفقات، فدفعت المدنية البشرية إلى ممارسة الخداع والانغماس في الحرام. ومن هنا فسدت أسسُ الأخلاق، إذ أحاطت المجتمع والبشرية بهالة من الهيبة ووضعت في يدها ثروة الناس فأصبح الفرد فقيرا وفاقدا للأخلاق.

---

[1] النورسي، بديع الزمان سعيد، اللمعات، **اللمعة السابعة عشرة**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول 1992.

[2] النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام، **السانحات**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول 1995.

والشاهد على هذا كثير، حتى إن مجموع ما ارتكبته البشرية من مظالم وجرائم وخيانات في القرون الأولى قاءتها واستفرغتها هذه المدنية الخبيثة مرة واحدة. وسوف تصاب بالمزيد من الغثيان في قابل أيامها أي أنها ستتقيأ قيئاً أشد وأفظع. نعم، لقد قاءت واستفرغت بحربين عالميتين حتى لطخت بالدم البر والبحر والهواء".[1]

8– أسس المدنيَّة القرآنية في رسائل النور:

".. أما المدنيَّة التي تأمرنا بها الشريعة الغرَّاء، وتتضمنها، فهي التي ستنكشف بانقشاع هذه المدنيَّة الحاضرة، وتضع أسسًا إيجابيَّة بنَّاءَةً مكان تلك الأسس النخِرَة الفاسدة السلبيَّة.

نعم. إنَّ نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوَّة. والحق من شأنه: العدالة والتوازن.

وهدفُها الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المحبَّة والتجاذب.

وجهةُ الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشريَّة: الرابطة الدينيَّة، والوطنيَّة، والمهنيَّة بدلاً من العنصريَّة. وهذه شأنها: الأخوَة الخالصة، والسلام، والوئام، والذود عن البلاد عند اعتداء الأجانب.

ودستورُها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه: التساند والاتحاد.

وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكمًا على الخدمات التي تقدَّم للبشر، وشأن الهدى: رفع الإنسانيَّة إلى مراقي الكمالات، فهي تحدِّد الهوى، وتحدُّ من النزعات النفسانيَّة، وتطمئن الروح، وتشوِّقها إلى المعالي..".[2]

9–المستقبل للإسلام وللإسلام وحده:

"إنالبشريةالتيأخذتتصحووتتيقّظبنتائجالعلوموالفنونالحديثةأدركتكنهاالإنسانيةوماهيتها،وتيقّنتأنهلايمكنهاأنتعيشهملاًبغيرد ين،بلحتىأشدالناسإلحاداًوتنكراًللدينمضطرإلىأنيلجأإلىالدينفيآخرالمطاف.

نحصل مما سبق: نحنمعا شر المسلمين خدا ما لقرآن نتّبع البرهان، ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائقَ الإيمان، لسناكم نترك التقلّد بالبرهان تقليداً للرهبان كما هو دأب أتباع سائر الأديان!

وعلى هذا فإن المستقبل الذي لاحكمَ فيه إلاّ للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامُه إلى العقل والمنطق والبرهان.

"ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكما لحقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعاتٍ وأفواجاً، بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام."

"سنكون في صف الأمم المتمدنة، بطيّنا هذا الزمان القاصر الشبيه بالصحراء الكبرى الموحشة. بل نتسابق معهم حيث إنهم درجوا على ركوب العربات التي تجرها الثيران، بينما نحن –بتكامل الوسائل التي يتوقف عليها العلم– سنَرْكَب مباشرةً القطارَ والمنطاد، فنسبقهم بفراسخ وفراسخ، وذلك بما تسهّل لنا هضمَ تلك الوسائل حقيقةُ الإسلام الجامعة

---

[1] النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، **اللوامع**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول 1992.

[2] النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام،**السانحات**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول 1995.

للأخلاق الإسلامية، والاستعدادُ الفطري الكامن فينا، وفيضُ الإيمان الذي نحمله، وشدةُ الجوع التي نشعر بها، فنسبقهم بإذنه تعالى كما كنا سابقين لهم في الماضي".[1]

10- من التنظير إلى التطبيق

على الرغم من أن العاملين برسائل النور لا ينتظرون أي شيء مقابل عملهم لله، إلا أنه سبحانه وتعالى قد أجرى على أيديهم فضلاً منه وكرماً، أعمالاً جليلة، لسلوكهم هذا النهج السليم بالعمل الإيجابي البنّاء الخالص لله والمنسجم مع الشريعة الكونية الفطرية، والأخذ بالتدرج الفطري في الأمور كلها وتجنب الخوض مع التيارات الجارية.. إذ في ظله انتشرت رسائل النور، وغزت العقول والقلوب والأرواح بجهاد معنوي كبير وشامل انتهى إلى تكوين جيل مؤمن انطلق في المجتمع ينشر حقائق الإيمان والإسلام بالتلمذة على رسائل النور فيما أسسه من مدارس النور ومن دورات تحفيظ القرآن الكريم ومن المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات ومن المؤسسات الثقافية والعلمية، ومن الإذاعات المرئية والمسموعة ومن الجرائد اليومية والمجلات العلمية والمتخصصة في شؤون الحياة المختلفة.. وأمثالها من الثمار اليانعة الكثيرة، التي تجاوزت ربوع البلاد وبلغت أقاصي البلدان في أرجاء العالم. والفضل لله أولاً وآخراً، والمنة والحمد له وحده.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

[1] النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام، **الخطبة الشامية**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول 1995.